الله محمداً صلى الله عليه وآله فقيراً وكان بالفقر سعيداً فقاسى محنة الفقر ومكابدة الجوع حتى شدّ الحجر على بطنه وحسبك بالفقر فضيلة في دين الله لمن صبر عليه فانك لا تجد صاحب الدنيا يتمناه لانه مناف لحال الدنيا واهلها وانما هو شعار اهل الآخرة واما طاعة علي عليه السلام وكون الجاحظ زعم انها كانت لان في عز محمد وعز رهطه بخلاف طاعة ابي بكر فهذا يفتح عليه ان يكون جهاد حمزة كذلك وجهاد عبيدة بن الحارث وهجرة جعفر الى الحبشة بل لعل محاماة المهاجرين من قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله كانت لان في دولته دولتهم وفي نصرته استجداد ملك لهم وهذا يجرّ الالحاد ويفتح باب الزندقة ويفضي الى الطعن في الاسلام والنبوة **قال الجاحظ** وعلى انا اذا نزلنا الى ما يريدون جعلنا الفراش كالغار وخلصت فضائل ابي بكر غير ذلك عن معارض **قال شيخنا** ابو جعفر رحمه الله قد بينا فضيلة المبيت على الفراش على فضيلة الصحبة في الغار بما هو واضح لمن انصف ونزيد ههنا تأكيداً بما لم نذكره فيما تقدم فنقول ان فضيلة المبيت على الفراش على الصحبة في الغار لوجهين **احدهما** ان علياً عليه السلام قد كان آنس بالنبي صلى الله عليه وآله وحصل له بمصاحبته قديماً انس عظيم وإلف شديد فلما فارقه عدم ذلك الانس وحصل به ابو بكر فكان ما يجده علي عليه السلام من الوحشة وألم الفرقة موجباً زيادة ثوابه لان الثواب على قدر المشقة **وثانيهما** ان ابا بكر كان يؤثر الخروج من مكة وقد كان خرج من قبل فردّ فازداد كراهية للمقام فلما خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله وافق ذلك هوى قلبه ومحبوب نفسه فلم يكن له من الفضيلة ما يوازي فضيلة من احتمل المشقة العظيمة وعرّض نفسه لوقع السيوف ورأسه لرضخ الحجارة لان على قدر سهولة العبادة يكون نقصان الثواب **قال الجاحظ** ثم الذي لقي ابو بكر في مسجده الذي بناه على بابه في بني جمح فقد كان بنى مسجداً يصلي فيه ويدعو الناس الى الاسلام وكان اذا قرأ بكى فيقف عليه المارة من الرجال والنساء والصبيان والعبيد فلما اوذي في الله ومنع من ذلك المسجد استأذن رسول الله صلى الله عليه وآله في الهجرة فاذن له فاقبل يريد المدينة فتلقاه الكناني فعقد له جواراً وقال والله لا ادع مثلك يخرج من مكة فرجع اليها وعاد لصنيعه في المسجد فمشت قريش الى جاره الكناني واجلبوا عليه فقال له دع المسجد وادخل بيتك واصنع فيه ما بدا لك **قال شيخنا** ابو جعفر رحمه الله كيف كانت بنو جمح تؤذي عثمن بن مظعون وتضربه وفيهم ذو سطوة وقدر وتترك ابا بكر يبني مسجداً يفعل فيه ما ذكرتم وانتم الذين رويتم عن ابن مسعود انه قال ما صلينا ظاهرين حتى اسلم عمر بن الخطاب والذي تذكرونه من بناء المسجد كان قبل اسلام عمر فكيف هذا واما ما ذكرتم من رقة صوته وعتاقة وجهه فكيف يكون ذلك وقد روى الواقدي وغيره ان عائشة رأت رجلاً من العرب خفيف العارضين معروق الخدين غائر العينين اجنى لا يمسك ازاره فقالت ما رأيت اشبه بابي بكر من هذا فلا نراها دلت على شيء من الجمال في صفته **قال الجاحظ** وحيث ردّ ابو بكر جوار الكناني وقال لا اريد جواراً سوى الله لقي من الاذى والذل والاستخفاف والضرب ما بلغكم وهذا موجود في جميع السير وكان آخر ما لقي هو واهله في امر الغار وقد طلبته قريش وجعلت فيه مائة بعير كما جعلت في النبي صلى الله عليه وآله فلقي ابو جهل اسماء بنت ابي بكر فسألها فكتمته فلطمها حتى رمت قرطاً كان في اذنها **قال شيخنا** ابو جعفر رحمه الله هذا الكلام وهجر السكران سواء في تقارب المخرج واضطراب المعنى وذلك ان قريشاً لم تقدر على اذى النبي صلى الله عليه وآله وابو طالب حي يمنعه فلما مات طلبته لتقتله فخرج تارة الى بني عامر وتارة الى ثقيف وتارة الى بني شيبان ولم يكن يتجاسر على المقام بمكة الا مستتراً حتى اجاره مطعم بن عدي ثم خرج الى المدينة فبذلت فيه مائة بعير لشدة حنقها عليه حين فاتها فلم تقدر عليه فما بالها تبذل في ابي بكر مائة بعير اخرى وقد كان ردّ الجوار وبقي بينهم فرداً لا ناصر له ولا دافع عنه يصنعون به ما يريدون اما ان يكونوا اجهل البرية كلها او يكون العثمانية اكذب جيل في الارض واوقحه وجهاً وهذا مما لم يذكر في سيرة ولا روي في اثر ولا سمع به بشر ولا سبق الجاحظ به احد **قال الجاحظ** ثم الذي كان من دعائه الى الاسلام وحسن احتجاجه حتى اسلم على يديه طلحة والزبير وسعد وعثمان وعبد الرحمن لانه ساعة اسلم دعا الى الله والى رسوله عليه السلام **قال شيخنا** ابو جعفر رحمه الله ما اعجب هذا القول اذ تدعي العثمانية لابي بكر الرفق في الدعاء وحسن الاحتجاج وقد اسلم ومعه في منزله ابنه عبد الرحمن فما قدر ان يدخله في الاسلام

طوعاً برفقه ولطف احتجاجه ولا كرهاً بقطع النفقة عنه وادخال المكروه عليه ولا كان لابي بكر عند ابنه عبد الرحمن من القدر ما يطيعه فيما يأمره ويدعوه اليه كما روي ان ابا طالب فقد النبي صلى الله عليه يوماً وكان يخاف عليه من قريش ان يغتالوه فخرج ومعه ابنه جعفر يطلبان النبي صلى الله عليه وآله فوجده قائماً في بعض شعاب مكة يصلي وعلي عليه السلام عن يمينه فلما رآهما ابو طالب قال لجعفر تقدم وصل جناح ابن عمك فقام جعفر عن يسار محمد صلى الله عليه وآله فلما صاروا ثلثة تقدم رسول الله صلى الله عليه وتأخر الاخوان فبكى ابو طالب رضي الله عنه ورحمه وقال

ان علياً وجعفراً ثقتي ... عند ملم الخطوب والنوب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما ... اخي لامي من بينهم وابي
والله لا اخذل النبي ولا ... يخذله من بنيّ ذو حسب

فيذكر ان جعفراً اسلم منذ ذلك اليوم لان اباه امره بذلك فاطاع امره وابو بكر لم يقدر على ادخال ابنه عبد الرحمن في الاسلام حتى اقام بمكة على كفره ثلث عشرة سنة وخرج يوم احد في عسكر المشركين ينادي انا عبد الرحمن بن عتيق هل من مبارز ثم مكث بعد ذلك على كفره حتى اسلم عام الفتح وهو اليوم الذي دخلت فيه قريش في الاسلام طوعاً وكرهاً ولم يجد احد منها الى ترك ذلك سبيلاً واين كان رفق ابي بكر وحسن احتجاجه عند ابيه ابي قحافة وهما في دار واحدة هلا رفق به ودعاه الى الاسلام فاسلم وقد علمتم انه بقي على الكفر الى يوم الفتح فاحضره ابنه عند النبي صلى الله عليه وآله وهو شيخ كبير رأسه كالثغامة فنفر رسول الله صلى الله عليه وآله منه وقال غيّروا هذا فخضبوه ثم جاؤوا به فاسلم وكان ابو قحافة فقيراً مدقعاً سيء الحال وابو بكر عندكم مثرياً فائض المال فلم يمكنه استمالته الى الاسلام بالنفقة والاحسان وقد كانت امرأة ابي بكر ام عبد الله ابنه واسمها قتيلة بنت عبد العزى بن اسعد بن عبد ود العامرية لم تسلم واقامت على شركها بمكة وهاجر ابو بكر وهي كافرة فلما نزل قوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر طلقها ابو بكر فمن عجز عن ابنه وابيه وامرأته فهو عن غيرهم من الغرباء اعجز ومن لم يقبل منه ابوه وابنه وامرأته لا برفق واحتجاج ولا خوفاً من قطع النفقة عنهم وادخال المكروه عليهم فغيرهم اقل قبولاً منه واكثر خلافاً عليه **قال الجاحظ** وقالت اسماء بنت ابي بكر ما عرفت ابي الا وهو يدين بالدين ولقد رجع الينا يوم اسلم فدعانا الى الاسلام فما رمنا حتى اسلمنا واسلم اكثر جلسائه ولذلك قالوا من اسلم بدعاء ابي بكر اكثر من اسلم بالسيف ولم يذهبوا في ذلك الى العدد بل عنوا الكثرة في القدر لانه اسلم على يديه خمسة من اهل الشورى كلهم يصلح للخلافة وهم اكفاء علي عليه السلام ومنازعوه الرياسة والامامة فهؤلاء اكثر من جميع الناس **قال شيخنا** ابو جعفر رحمه الله اخبرونا من هذا الذي اسلم ذلك اليوم من اهل بيت ابي بكر اذ كانت امرأته لم تسلم وابنه عبد الرحمن لم يسلم وابوه ابو قحافة لم يسلم واخته ام فروة لم تسلم وعائشة لم تكن قد ولدت في ذلك الوقت لانها ولدت بعد مبعث النبي صلى الله عليه وآله بخمس سنين ومحمد بن ابي بكر ولدت بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله بثلاث وعشرين سنة لانه ولد في حجة الوداع واسماء بنت ابي بكر التي قد روى الجاحظ هذا الخبر عنها كانت يوم بعث رسول الله صلى الله عليه وآله بنت اربع سنين وفي الرواة من يقول بنت سنتين فمن الذي اسلم من اهل بيته يوم اسلم وكيف اسلم نعوذ بالله من الجهل والمكابرة وكيف اسلم سعد والزبير وعبد الرحمن بدعاء ابي بكر وليسوا من رهطه ولا من اترابه ولا من جلسائه ولا كانت بينهم قبل ذلك صداقة متقدمة ولا انس وكيد وكيف ترك ابو بكر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة لم يدخلهما في الاسلام برفقه وحسن دعائه وقد زعمتم انهما كانا يجلسان اليه لعلمه وطرائف حديثه وما باله لم يدخل جبير بن مطعم في الاسلام وقد ذكرتم انه ادبه وخرجه ومنه اخذ جبير العلم بانساب قريش ومآثرها فكيف عجز عن هؤلاء الذين عددناهم وهم منه بالحال التي وصفنا ودعا من لم يكن بينه وبينه انس ولا معرفة الا معرفة عيان وكيف لم يقبل منه عمر بن الخطاب وقد كان شكله واقرب الناس شبهاً به في اغلب اخلاقه ولئن رجعتم الى الانصاف لتعلمن ان هؤلاء لم يكن اسلامهم الا بدعاء الرسول صلى الله عليه وآله لهم وعلى يديه اسلموا ولو فكرتم في حسن التأني في الدعاء ليصح لابي طالب في ذلك على تركه اضعاف ما ذكرتموه لابي بكر لانكم رويتم ان ابا طالب قال لعلي عليه السلام يا بني الزمه فانه لن يدعوك الا الى خير وقال لجعفر صل جناح ابن عمك فاسلم بقوله ولاجله اصفق بنو عبد مناف على نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة من بني مخزوم وبني سهم وبني جمح ولاجله صبر بنو هاشم على الحصار في الشعب وبدعائه واشباله على محمد صلى الله عليه اسلمت

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1